www.quranonlinelibrary.com

Journal of Alasmarya University
Volume 13, June 2010

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الثالث عشر، يونيو 2010

جمع القرآن الكريم وكتابته في صدر الإسلام

البواعث والأسباب، المناهج، الخصائص والسمات

د. أحمد رمضان حارس*

المقدمة

تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التبديل والتحريف، وتلك خاصية أُختص بها القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة، ولقد اهتم المسلمون منذ عهد النبي ﷺ بالقرآن الكريم حفظا وكتابة ودراسة وعملاً، واتخذ النبي ﷺ من الصحابة ﷺ كتّاباً للوحي؛ كان من أشهرهم الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ، وكانت مهمة هؤلاء الكتّاب هي كتابة ما ينزل على رسول الله ﷺ من الوحي أولاً بأول، وفي عهد أبي بكر الصديق ﷺ تم جمع ما كتب من القرآن الكريم بين يدي النبي ﷺ في مصحف واحد، وفي عهد ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ تم نسخ المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في عدة مصاحف أخرى وحرق ما عداها من الصحف الأخرى؛ وتم إرسالها إلى الأمصار الإسلامية، وكان في هذا العمل منع للخلاف أو النزاع حول كتاب الله تعالى.

وقد استمر الاهتمام بالقرآن الكريم على مر العصور حفظاً وكتابة وتفسيراً، وعلى مر هذا التاريخ وحتى عصرنا هذا ظهرت في كنف القرآن الكريم علوم متنوعة تهتم بدراسة كل ما يتعلق بالقرآن الكريم؛ أطلق عليه مصطلح (علوم القرآن الكريم).

* الجامعة الأسمرية.

www.quranonlinelibrary.com

وفي هذا البحث استعرض المراحل التي مر بها جمع القرآن الكريم وكتابته في عهد النبي ﷺ، وكذلك عهدي أبي بكر وعثمان ﷺ، مبيناً الدوافع والأسباب التي أدت إلى جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وأيضا بيان الأسباب والدوافع التي أدت إلى نسخ المصاحف في عهد عثمان ﷺ، بالإضافة إلى ذلك بيان المنهج المتبع في جمع كل منهما، وأيضا إبراز سمات وخصائص كل جمع منهما، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: حفظ القرآن وكتابته في عهد النبي ﷺ
المبحث الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد الصديق ﷺ أسبابه ومميزاته
المبحث الثالث: جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ دوافعه وخصائصه

المبحث الأول: حفظ القرآن وكتابته في عهد النبي ﷺ

بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ إلى قوم أميين، وكانت معجزة نبيه ﷺ القرآن الكريم؛ وهي معجزة معنوية عقلية تعتمد أساساً على الحفظ والذاكرة، وقد استغرق زمن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً هي عمر الدعوة الإسلامية، وقد تكامل نزول القرآن الكريم وترتيب سوره وآياته في هذه المدة الزمنية من عمر النبي ﷺ، وقد اهتم رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى لنزول القرآن عليه بحفظه وتلاوته حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وفي هذا المبحث أبين مدى اهتمام النبي ﷺ وكذلك الصحابة في عهده بحفظ وكتابة القرآن الكريم، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:
المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ.
المطلب الثاني: كتابة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ.

المطلب الأول: حفظ القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ

اهتم رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي عليه بحفظ القرآن الكريم والعناية به[1]، والمقصود بالحفظ في هذا المطلب الحفظ في الصدور، ولقد حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم، والشواهد على ذلك كثيرة أكثر من أن تعد نذكر

1- المقصود بالحفظ في هذا المطلب الحفظ في صدور الصحابة في عصر النبي ﷺ

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: 16-19]، ذكر علماء التفسير[2] أن النبي ﷺ كان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه الوحي قبل فراغ جبريل -عليه السلام- من قراءة الوحي؛ وذلك حرصاً من رسول الله ﷺ على حفظ ما ينزل من القرآن الكريم، فنزلت الآيات؛ لا تحرك لسانك بالقرآن عند لقاء الوحي لتأخذه على عجل مخافة أن ينفك منك، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الوحي أن يستمع له، وتكفل له الحق تبارك وتعالى أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته، والثالثة بيانه وتفسير معناه، ولهذا قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي تلاه الملك عليك من الله عز وجل ﴿قُرْءَانَهُۥ﴾ أي فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا.

2. قول الله عز وجل: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: 114] يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: «عَلّم نبيه كيف يتلقى القرآن الكريم، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كان عليه السلام يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ من الوحي؛ حرصا على الحفظ وشفقة على القرآن مخافة نسيانه»[3].

3. قول الله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: 6-7] يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: «هذا إخبار من الله عز وجل ووعد منه لرسوله ﷺ بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها»[4].

2- انظر: تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل 284/8 وما بعدها، تفسير أبي السعود المعروف بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 66/5، 67، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للفخر الرازي 197/15 وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي 69/10 وما بعدها، روح المعاني للإمام الألوسي 157/15، فتح القدير للشوكاني 338/5

3- انظر: تفسير القرطبي 69/10.

4- تفسير ابن كثير 156/4

www.quranonlinelibrary.com

4. ما أخرجه البخاري في صحيحه: «عن سعيد بن جبير عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه فقال ابن عباس فأنا أحركاهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركاهما، وقال سعيد بن جبير: وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جمعه في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه»[5]، من هذا الأثر يتبين مدى حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن الكريم، وهو يعاني ما يعانيه من شدة نزول الوحي، يفعل ذلك استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه الشريف، مخافة أن تفوته كلمة أو يفلت منه حرف، حتى طمأنه ربه بأن وعده أن يجمعه له في صدره وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه[6].

5. ما أخرجه البخاري أيضا عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[7]، قال الحافظ ابن حجر: «قيل الحكمة فيه أن مدارسة القرآن الكريم تجدد له العهد بمزيد غنى النفس»[8]، وهذا يؤكد مدى اهتمام النبي ﷺ بحفظ القرآن الكريم ومدارسته، ولا يفهم من هذا اقتصار النبي ﷺ على مدارسة القرآن في شهر رمضان فقط، بل يفهم منه كثرة الاهتمام في شهر رمضان على اعتبار أن ثواب الأعمال الصالحة يضاعف في هذا الشهر الكريم.

6. البخاري عن مسروق عن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– عن فاطمة –رضي الله عنها–: «أسر إليّ النبي ﷺ: أن جبريل كان يعارضني بالقرآن الكريم كل سنة،

5– انظر: صحيح البخاري كتاب بدء الوحي 7/1، وكتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [الأعلى: 17] 317/3.

6– انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للعلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني 240/1.

7– صحيح البخاري كتاب بدء الوحي 7/1

8– انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر 7/1

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي»[9].

7. أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن الكريم كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه»[10].

وقد حرص الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- على حفظ كل ما ينزل على النبي ﷺ أولاً بأول، فقد كانوا يحفظون ما ينزل من القرآن عن ظهر قلب، وكان منهم من حفظ القرآن كله في حياة النبي ﷺ، ومنهم من كان يحفظ مقادير كبيرة منه، وظل الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- يعكفون على حفظ القرآن الكريم حتى ارتفعت نسبة الحفاظ بينهم إلى عدد لا يحصى، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل إن الصحابة ﷺ كانوا يتسابقون في الأخذ عن رسول الله ﷺ ما ينزل من الوحي فور نزوله، ومن بعدت داره أو شغله عمله تناوب مع غيره في الذهاب إلى مسجد النبي ﷺ، كما حكت كتب السنة والسيرة[11] عن تناوب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ وجار له من الأنصار، ومن تعذر عليه اللقاء حرص على الأخذ ممن لقي، وهكذا كان القرآن الكريم شغلهم الشاغل، وكانوا يتنافسون في تلاوته وحفظه، حتى أصبح مقياس الرجال منهم ما يحفظونه منه[12].

أضف إلى ذلك حرص النبي ﷺ على أن يحفظ المسلمون ما ينزل من القرآن، وكان من مظاهر هذا الحرص؛ أنه ﷺ ندب من الصحابة ممن يحفظون القرآن أن يعلموا إخوانهم من المسلمين ما ينزل من القرآن، فقد بعث مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة ليعلم من أسلم منهم الإسلام وما نزل على النبي ﷺ من القرآن الكريم[13]، وأرسل سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ في موسم الحج ليقرأ على الناس سورة التوبة.

9- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعارض النبي ﷺ 346/3.

10- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعارض النبي ﷺ 346/3.

11- انظر: صحيح البخاري كتاب التفسير، باب تبتغي مرضات أزواجك 286/3، حياة الصحابة للكاندهلوي 287/4

12- انظر: اللآلئ الحسان في علوم القرآن للدكتور: موسى شاهين لاشين ص45.

13- انظر: السيرة النبوية لابن هشام 435/1، مناهل العرفان في علوم القرآن للعلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني 241/1

www.quranonlinelibrary.com

ومن ذلك أيضا أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميراً على قوم قدم أكثرهم حفظاَ للقرآن الكريم، ومما يشهد لذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: « بعث النبي ﷺ بعثاً وهم ذو عدد فاستقراهم فاستقرا كل رجل منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل منهم من أحدثهم سنا، فقال: ما معك يا فلان ؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، قال: أمعك سورة البقرة ؟ فقال نعم، قال: فاذهب فأنت أميرهم، فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن واقرءوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا، يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكي على مسك »[14].

وقد حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب جمع غفير من الصحابة، منهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وأيضا طلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حذيفة وأبو هريرة وابن عمر وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية بن أبي سفيان وابن الزبير وعبد الله بن أبي السائب وأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة وهؤلاء كلهم من المهاجرين، ومن الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك، وأبو زيد الذي سئل عنه أنس بن مالك فقال: « إنه أحد عمومتي »[15].

وقد ذكر ابن سعد في كتابه الطبقات: « أن بعض هؤلاء أكمل حفظه للقرآن الكريم بعد وفاة النبي ﷺ، وغيرهم من الصحابة حفظوا القرآن، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة »[16].

بل لم يقتصر عند هذا الحد بل إن النبي ﷺ كان يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمه القرآن، فشاع حفظه بين الرجال والنساء كذلك، حتى أن المرأة المسلمة

14- أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وقال: حديث حسن 15/5

15- وهو قول أنس رضي الله عنه: « مات رسول الله ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد » أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ 347/3، وانظر تفاصيل هذه المسألة في كتاب مناهل العرفان 242/1

16- انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 355/2وما بعدها، البرهان في علوم القرآن للزركشي 242/1، مناهل العرفان 242/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كانت ترضى ببعض سورة من القرآن أو أقل مهراً لها، فقد أخرج البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: « أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: أنها وهبت نفسها لله ولرسوله، فقال: ما لي في النساء من حاجة، رجل: زوجنيها، فقال: أعطها ثوبا، قال: لا أجد، قال: أعطها ولو خاتما من حديد، فاعتلّ له، فقال: ما معك من القرآن ؟ قال: كذا وكذا، قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن »[17].

وكان من أثر ذلك أن كثر الحفاظ في عهد النبي ﷺ، وكانوا يعرضون على النبي ﷺ القرآن ويقرؤونه عليه، وكان النبي ﷺ يحب أن يسمع تلاوة القرآن من الصحابة، فعن عبد الله بن مسعودﷺ قال: « قال لي رسول الله: ﷺ اقرأ عليّ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ [النساء: 41]، قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان »[18].

وما سبق ذكره يدل على كثرة الصحابة الذين حفظوا القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ، وتلك ميزة اختص الله تعالى بها الأمة المحمدية كما ذكر العلامة المحقق ابن الجزري حيث قال: « ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خاصية من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: (إن ربي قال لي: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت له رَبِ إذاً يَثْلَغوا[19] رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك)[20]، فأخبر الحق سبحانه وتعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في صفة أمته: (أناجيلهم في صدورهم) وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا

17- أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه 342/3.

18- أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء

19- يثلغوا: أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر، انظر: شرح النووي على صحيح مسلم 198/17.

20- صحيح مسلم كتاب الجنة وصفاتها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار 1741/4 رقم 2865.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عن ظهر قلب، ولما اختص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم، وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه »[21].

المطلب الثاني:كتابة القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ

الفرع الأول: كتابة الوحي بين يدي النبي ﷺ

اتضح لنا مما سبق بيانه كيف اهتم النبي ﷺ بحفظ القرآن الكريم، وحرصه على تعليم الصحابة ما ينزل من القرآن أولاً بأول، ولم يكتف النبي ﷺ بالحفظ فقط بل أعد للأمر عدته، فاتخذ كتّاباً من الصحابة -رضوان الله عليهم- ممن يعرفون القراءة والكتابة؛ عرفوا بكتّاب الوحي، وكانت مهمتهم الأساسية كتابة ما ينزل على النبي ﷺ من الوحي أولاً بأول، فكان كلما نزل شيء من القرآن على رسول الله ﷺ بادروا بكتابته بين يدي النبي ﷺ؛ زيادة في التوثق والضبط والاحتياط لكتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ، ويعاضد النقش اللفظ[22].

وكان من شدة حرص النبي ﷺ على كتابة القرآن الكريم؛ أنه أمر المسلمين بكتابة القرآن ونهاهم عن كتابة غيره؛ حتى لا يختلط القرآن بشيء أخر، زيادة في الحرص والتوثق.

والشواهد على كتابة القرآن الكريم في عهده ﷺ أكثر من أن تحصى. من ذلك ما أخرجه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال: لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه »[23].

وأيضا ما رواه الإمام الترمذي -رحمه الله- في سننه: « عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما سئل عن سورتي الأنفال والتوبة، قال: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السورة ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان

21- انظر: النشر في القراءات العشر للعلامة ابن الجزري ص 6.

22- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 246/1، نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي ص27، المعجزة الكبرى (القرآن) للشيخ محمد أبو زهرة ص22.

23- انظر: صحيح مسلم كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث 229/4.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»[24].

وكذلك ما روي عن البراء بن عازب ﷺأنه قال: «لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: 95] دعا رسول الله ﷺ زيداً فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾، وفي رواية أخرى عن البراء قال: لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ ادعوا فلاناً، فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف، فقال: اكتب: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضرير، فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية»[25].

وأيضا ما أخرجه ابن أبي داود -رحمه الله تعالى- في كتابة المصاحف: «عن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ قال: كنت جار النبي ﷺ فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فأكتب الوحي، وكان إذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عنه»[26].

يتبين لنا من هذه الأحاديث والآثار التي ذكرت أن القرآن الكريم قد كتب في عهد النبي ﷺ، وأنه (عليه الصلاة والسلام) قد أذن للصحابة بكتابة القرآن، واتخذ لنفسه كتّاباً للوحي يكتبون ما ينزل من القرآن أولاً بأول.

الفرع الثاني: أشهر كتّاب الوحي من الصحابة ﷺ

اتضح لنا مما سبق أن النبي ﷺ قد حرص كل الحرص على كتابة القرآن الكريم، واتخذ من الصحابة كتّابا للوحي، كانت مهمتهم كتابة ما ينزل على النبي ﷺ، وكان من هؤلاء الكتاب الخلفاء الأربعة، وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وإبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبي بن كعب وغيرهم[27]، وكان من أشهر من كتب الوحي بين يدي النبي ﷺ ست من الكتّاب هم:

24- سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة 127/4

25- انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء، باب تفسير ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ [النساء: 9]، سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب سورة النساء 121/5.

26- كتاب المصاحف لابن أبي داود 25/1.

27- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 246/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

1. عبد الله بن أبي السرح القرشي، كان أول من كتب للنبي ﷺ وهو بمكة، حيث لم يكن بها أحد يعرف الكتابة إلا نفر قليل، وقد اتخذه النبي ﷺ كاتباً للوحي في أول الإسلام، ثم ارتد عبد الله عن الإسلام، ولما كان يوم فتح مكة أسلم وحسن إسلامه، وعاد لكتابة الوحي بين يدي النبي ﷺ، توفي عبد الله سنة 36هـ[28].
2. أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ثالث الخلفاء الراشدين، كتب للنبي ﷺ الوحي وغيره، وفي خلافته تم نسخ المصاحف.
3. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ رابع الخلفاء الراشدين، كان ممن كتب أكثر الوحي بين يدي النبي ﷺ.
4. أبي بن كعب الأنصاري ﷺ أول من كتب الوحي للنبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، كما كان يكتب ما يأمره به النبي ﷺ من الكتب والرسائل، وهو من أشهر قراء القرآن الكريم.
5. زيد بن ثابت الأنصاري ﷺكان من أكثر الكتّاب ملازمة للنبي ﷺ، حتى كان لا عمل له إلا الكتابة بين يدي النبي ﷺ، ولهذا خصه البخاري بلقب (كاتب الوحي)[29].
6. معاوية بن أبي سفيان ﷺ، اتخذه النبي ﷺ كاتباً للوحي بعد فتح مكة، فكان ملازماً للكتابة بين يدي النبي ﷺ، يكتب الوحي وغيره[30].

هؤلاء الستة كتبوا الوحي بصفة رسمية بين يدي النبي ﷺ، وكان ما يكتب يوضع في حجرات زوجات النبي –رضي الله عنهن أجمعين–.

الفرع الثالث: متابعة النبي ﷺ لكتّاب الوحي

لم يترك النبي ﷺ كتّاب الوحي من الصحابة دون توجيه أو متابعة، بل كان رسول الله ﷺ يتابع كتّاب الوحي أولاً بأول، ويوجههم التوجيه الصحيح عند كتابة القرآن الكريم، فكان النبي ﷺ يدلهم على مواضع الآيات من السور، وكان يأمرهم بأن يضعوا الآية أو الآيات التي تنزل في مواضعها من سور القرآن[31].

ومما يشهد لذلك ما رواه أصحاب السنن من حديث ابن عباس –رضي الله

28– انظر: اللآلئ الحسان ص 44

29– انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي ﷺ 345/3.

30– انظر: مناهل العرفان 246/2.

31– انظر: المعجزة الكرى (القرآن) للشيخ محمد أبو زهرة ص 22.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عنهما- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ...» الحديث[32].

بالإضافة إلى ذلك كان رسول الله ﷺ يراجع الكتّاب فيما كتبوه بعد فراغهم من كتابة الوحي، زيادة في التوثيق والاحتياط لكتاب الله تعالى، أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: «كنت اكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يملي عليّ، فإذا فرغت من الكتابة قال: اقرأه، فاقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه»[33].

الفرع الرابع: الهيئة التي كتب عليها القرآن الكريم في عهد النبي ﷺ

كان كتّاب الوحي على عهد النبي ﷺ يكتبون ما ينزل من الوحي فيما كان ميسوراً لهم في عصرهم من أدوات الكتابة، فكانوا يكتبون الوحي على العسب[34]، واللخاف[35]، والألواح والأكتاف[36]، والأضلاع والأقتاب[37]، والرقاع[38]، والأديم[39].

وكانت الهيئة التي كتب عليها الوحي عبارة عن مجموعة من الصحائف المتفرقة في حجرات زوجات النبي، كتب في هذه الصحائف القرآن كله، ولم ينتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم كله مكتوب، ولكن غير مجموع في مكان واحد، وقد أخبر النبي الصحابة بترتيب القرآن وسوره وآياته، حتى صاروا يقرؤون القرآن كاملاً مرتباً على نحو ما قرأه النبي بتلقي من جبريل عليه السلام وفي كل عرضة للقرآن على النبي ﷺ كما سبق الإشارة إلى ذلك.

32- سبق تخريجه، وانظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 232/1.

33- أخرجه الطبراني في الأوسط 544/2.

34- العسب: جريد النخل، وكانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص80.

35- اللخاف: الحجارة الرقيقة البيضاء.

36- الأكتاف: جمع كتف وهي العظم العريض الذي يكون في أصل كتف الحيوان، وخاصة الذي للبعير والشاة. انظر: الإتقان ص80.

37- والأقتاب: قطع الخشب التي توضع على ظهر البعير ليركب عليها الإنسان. انظر: المرجع السابق.

38- والرقاع: وهي القطعة من الجلد، وقد تكون من غيره كالقماش والورق، وهو أكثر ما كتب الوحي عليه. المرجع السابق.

39- انظر: البرهان في علوم القرآن 231/1، الإتقان ص 80، مناهل العرفان 246/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وإلى هذا أشار فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: «والأمر الذي يجب التنبيه إليه أن القرآن كله كان مكتوباً عند الصحابة، وإذا لم يكن كله مكتوباً عند بعضهم، أو عند واحد منهم بعينه، فإن ذلك لم يكن منفيا عن جميعهم، فهو مكتوب كله عند جميعهم، وما ينقص من عند واحد يكمله ما عند الآخرين، وهكذا تضافروا جميعا على نقله مكتوباً، وإن تقاصر بعضهم عن كتابته كمّل الآخر، وكان الكمال النقلي جماعيا وليس أحادياً»[40].

بناء على ما سبق يتضح لنا أن القرآن الكريم قد تمت كتابته في عهد النبي ﷺ، ولكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، وقد كتب على ما تيسر من أدوات الكتابة المتاحة بين يدي الصحابة ﷺ، بل إن البعض منهم كان عنده مصحف مكتوبا خاصا به؛ كما كان عند عبد الله بن مسعود وغيره.

الفرع الخامس: أسباب عدم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ

يرجع عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد النبي إلى عدة اعتبارات من أهمها ما يلي[41]:

أولاً: نزول القرآن على النبي ﷺ منجما في مدة ثلاث وعشرين سنة، هي عمر الدعوة، وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ حسب الحوادث والمواقف، مما جعل النبي ﷺ بصدد انتظار نزول الوحي، أو نسخ شيء مما نزل عليه، وهذا مما لاشك فيه يدعو إلى عدم جمع القرآن في مصحف واحد، كما حدث في عهد الصديق ﷺ، ولهذا تأخر الجمع إلى أن اكتمل القرآن بوفاة النبي ﷺ.

ثانيا: إن ترتيب آيات وسور القرآن الكريم لم يكن حسب ترتيب نزوله، بل هو حسب ما في اللوح المحفوظ الذي تلقاه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام، وحسب ما في العرضة الأخيرة قبل وفاة النبي ﷺ، كما أن ضيق الوقت بين أخر آية نزلت منه وبين وفاة النبي ﷺ كان عاملاً أساسيا في عدم الجمع، قد كانت الفترة بين آخر آية ووفاة النبي ﷺ لم تزد على تسع ليالي في أكثر الروايات[42].

40- انظر: المعجزة الكبرى (القرآن) ص 23.

41- انظر: البرهان في علوم القرآن 262/1، الإتقان ص 79، مناهل العرفان 248/1.

42- انظر: المعجزة الكبرى (القرآن) ص 18، من روائع القرآن: د. محمد سعيد البوطي ص 45.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ثالثا: كذلك لم يوجد في عهد النبي ﷺ من دواعي جمع القرآن في مصحف واحد أو نسخه في عدة مصاحف، مثل ما وجد في عهد أبي بكر ﷺ، ولا مثل ما وجد في عهد عثمان ﷺ، فالمسلمون على عهد النبي ﷺ كانوا بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد، والفتنة مأمونة، والاعتماد على الحفظ أكثر من الكتابة، إضافة إلى أدوات الكتابة لم تكن ميسورة للجميع، ولم يكن كل الصحابة يعرفون القراءة والكتابة.

تلك هي أهم الأسباب التي أدت إلى عدم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد النبي ﷺ، فلما استقر الأمر في عهد أبي بكر ﷺ وأمن النسخ بوفاة النبي ﷺ ووجد الداعي إلى الجمع في مصحف واحد، اجتهد الصحابة ﷺ في جمعه، ولما وجدت الحاجة إلى نسخه في عهد عثمان بن عفان ﷺ اجتهدوا في نسخه في عدة مصاحف، ووفق الله تعالى الخلفاء الراشدين إلى جمعه ونسخه، مصداقاً لوعده سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ ﴾ [الحجر: 9].

المبحث الثاني: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﷺ

بعد وفاة النبي ﷺ سار الصحابة ﷺ على منهج المصطفى ﷺ واستنوا بسنته، وسلكوا طريقته في العناية بكتاب الله تعالى، واتجهت جهودهم إلى العناية بكتاب الله تعالى حفظا وكتابة وتطبيقا، وشهد عصر الصديق ﷺ حروب الردة التي قتل فيها عدد كبير من حفظة كتاب الله تعالى، وبخاصة في موقعة اليمامة التي قتل فيها أكثر من سبعين من القراء من حفظة كتاب الله، مما جعل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يفزع إلى أبي بكر ﷺ ويشير عليه بجمع القرآن في مصحف واحد، فتم هذا العمل العظيم، وتم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، بعد التقصي والتحري في جمعه، وذلك من قبل اللجنة المكلفة بذلك، والتي كان على رأسها الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ، وهذا ما أتناوله في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: بواعث جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ

المطلب الثاني: اللجنة المكلفة بالجمع والمنهج المتبع فيه

المطلب الثالث: فائدة هذا الجمع وأهم سماته

المطلب الرابع: بعض الشبهات على هذا الجمع والرد عليها.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المطلب الأول: بواعث جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ

الفرع الأول: البواعث والدوافع إلى جمع القرآن الكريم

تولى سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ في ظروف صعبة وأحداث جسام، كان من بين هذه الأحداث ارتداد الكثير من الأعراب عن الإسلام، وإدعاء البعض الآخر النبوة، وامتناع فريق ثالث عن أداء الزكاة، في خضم هذه الأحداث الجسيمة دارت حروب الردة[43]، وكانت حروب طاحنة استشهد فيه الكثير من الصحابة ﷺ وبخاصة موقعة اليمامة التي استشهد فيها أكثر من سبعين من حفظة كتاب الله تعالى[44]، وتدل الروايات التي وردت حول هذه الواقعة على مدى عناية الصحابة بكتاب الله تعالى وافتخارهم بحفظه، كما أنها تشهد على أن القرآن الكريم قد حفظه الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد روي أن شعار المسلمين في هذه الموقعة أثناء القتال: يا أهل سورة البقرة؛ يا أهل سورة آل عمران؛ يا حفظة كذا وكذا من القرآن، وقول أبي حذيفة ﷺ: « يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال »[45]، وانتهت الموقعة بانتصار المسلمين واستشهاد أكثر من سبعين من حفظة كتاب الله تعالى.

اشتد أمر استشهاد هذا العدد من حفظة كتاب الله تعالى على المسلمين؛ وبخاصة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فقد روي أنه سأل عن آية من كتاب الله، فقيل له إنها كانت مع فلان الذي استشهد في موقعة اليمامة[46]، ففزع عمر إلى أبي بكر ﷺ فأشار عليه أن يجمع القرآن؛ خوف ضياعه بموت الحفاظ مقتل القراء، فتردد أبو بكر ﷺ في بداية الأمر خشية أن يفعل شيئا لم يفعله النبي ﷺ، فمازال عمر ﷺ يراجع أبا بكر ﷺ حتى

43- انظر: تفاصيل حروب الردة في الكتب الآتية: البداية والنهاية لابن كثير 310/6 وما بعدها، السيرة النبوية لابن هشام المصري 227/4 وما بعدها، طبقات ابن سعد 54/4.

44- وقعت معركة اليمامة سنة 12هـ وقتل فيها عدو الله مسيلمة الكذاب وآلاف من جنده وأعوانه، قتله وحشي الحبشي قاتل سيدنا حمزة ﷺ في غزوة أحد؛ ومما روي عنه قوله: قتل بيدي خير الناس -يقصد حمزة- وشر الناس -يقصد مسيلمة الكذاب-، وفتحت اليمامة على يد سيف الله المسلول سيدنا خالد بن الوليد ﷺ صلحاً، واستشهد فيها أكثر من سبعمائة من كبار المهاجرين والأنصار، وقيل ألف ومائتان. انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير 243/2، شذرات الذهب لابن العماد 23/1، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 76.

45- انظر: البداية والنهاية 326/6.

46- الإتقان ص 79.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

اقتنع أبو بكر بما أشار به عمر(47).

أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: «أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكرﷺ: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال؛ حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر -رضي الله عنها-»(48).

الفرع الثاني: أسباب تردد الصديق ﷺ في بداية الأمر

نلاحظ مما من سياق الحديث السالف الذكر؛ الذي أخرجه الإمام البخاري عن زيد بن ثابت أن أبا بكر ﷺ تردد في بداية الأمر في قبول الفكرة التي أشار بها عمر بن الخطاب ﷺ والخاصة بجمع القرآن، استشعر أبو بكر في البداية أن هذا الأمر بدعة، وهو يؤثر الإتباع وينفر من الابتداع، فقال لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجع أبا بكر؛ حتى شرح الله صدر أبي بكر بما رآه عمر، فعزم على التنفيذ، ومن هنا يتبين شدة ورع أبي بكر وخوفه أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ، فالصديق كان يعتقد أن النبي ﷺ لو أراد أن يجمع القرآن في صحف أو في مصحف لفعل ذلك، ولكنه ﷺ ترك ذلك ليعتمد المسلمون على الحفظ

47- انظر: الإتقان ص 79، البرهان في علوم القرآن 333/1، صفة الصفوة 229/1، المستصفى للغزالي 542/2، تاريخ الخلفاء ص 44، المعجزة الكبرى (القرآن) ص25، نظرات في كتاب الله ص 32.

48- انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 343/3.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في الصدور، ولا يعتمدوا على النسخ والقراءة كأهل الكتاب، ولذا أحب أبو بكر ﷺ ألا يفعل شيئا لم يفعله النبي ﷺ(49).

أما عمر ﷺ فقد اجتهد في الوصول إلى المصلحة التي توجب جمع القرآن في مصحف واحد؛ وذلك مخافة أن يضيع شيء من القرآن بموت الحفظة والقراء، خاصة بعد المعارك التي شهدت حروب الردة، فقد وجد سيدنا عمر أن من المصلحة جمع القرآن في مصحف واحد؛ محافظة عليه من الضياع أو النسيان، ووافقه على ذلك الصحابة(50).

وبعد محاورة بين أبي بكر وعمر؛ تجلى لأبي بكر وجه المصلحة من الجمع، فاقتنع بصواب الفكرة، وشرح الله صدره وعلم أن الجمع وسيلة عظيمة لحفظ كتاب الله تعالى، وأنه ليس من محدثات الأمور، ولا من البدع الضالة؛ بل هو مستمد من القواعد التي وضعها رسول الله ﷺ بإذنه في كتابة القرآن واتخاذه كتّاباً للوحي يكتبون الوحي بين يديه، وبنفس الاقتناع اقتنع زيد بن ثابت في آخر الأمر بما اقتنع به أبو بكر؛ حيث قال: «لم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر»(51).

ذكر ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري ما نصه: «فإن قال قائل: ما وجه نفور أبي بكر وزيد بن ثابت -مع فضلهما- عن جمع القرآن ؟ فالجواب: أنهما لم يجدا رسول الله ﷺ قد بالغ في جمعه إلى هذا الحد من الاحتياط من تجليده وجمعه بين لوحين، فكرها أن يجمعاه جزعا من أن يحلا أنفسهما محل من يجاوز احتياطه للدين احتياط رسول الله ﷺ، فلما نبههما عمر وقال: هو والله خير، وخوفهما من تغير حال القرآن في المستقبل؛ لقلة حفظته، ومصيره إلى حالة الخفاء والغموض بعد الاستفاضة والظهور، علما صواب ما أشار به وأنه خير»(52).

من هنا يتضح أن الباعث على جمع القرآن الكريم في عهد الصديق يرجع إلى

49- انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر 10/9، شرح صحيح البخاري لابن بطال 222/10، اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص 49.

50- انظر: الاجتهاد في عصر الصحابة ص165 رسالة ماجستير مخطوطة، كلية دار العلوم.

51- سبق تخريجه

52- شرح صحيح البخاري لابن بطال 222/10.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

خوف الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفظته، وذلك بسبب انتشار الحفظة والقراء بين الجيوش الإسلامية مما يعني أن الكثير منهم معرض للاستشهاد أو الموت في سبيل الله، وذلك مثلما حدث في واقعة اليمامة؛ والتي استشهد فيها عدد كبير من القراء، والتي تعد بحق الباعث والدافع الأساسي من وراء التفكير في جمع القرآن في مصحف واحد، كما أن الخوف من مخالفة فعل رسول الله ﷺ كان السبب الرئيسي في تردد أبي بكر وكذلك زيد بن ثابت في قبول فكرة الجمع في أول الأمر.

إذن فكتابة القرآن مجموع في مصحف واحد بمثابة أمان وحفظ له مما قد يحدث في المستقبل، ويدل على ذلك ما عبر عنه سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بقوله: « إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالقراء، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن »(53).

المطلب الثاني: اللجنة المكلفة بالجمع والمنهج المتبع

الفرع الأول: اللجنة المكلفة بالجمع

بعد أن اقتنع سيدنا أبو بكر الصديق برأي عمر في جمع القرآن، أسند أبو بكر هذه المهمة إلى زيد بن ثابت ﷺ، وكلفه بمهمة جمع القرآن الكريم وكتابته في مصحف واحد، جاء في الحديث « قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه »(54)، ومن هذا الحديث يتبين أن الأسباب التي جعلت أبا بكر يرشح زيداً لهذه المهمة الجسيمة؛ فقد تفرس فيه الأمانة ورجاحة العقل وقربه من رسول الله ﷺ، واعتماد النبي ﷺ عليه في الكتابة، وبناء على ذلك يمكن بيان أهم الصفات التي أهلت زيداً لهذه المهمة.

الصفات التي أهلت زيد بن ثابت لمهمة جمع القرآن الكريم

اجتمعت في زيد بن ثابت ﷺ(55) مجموعة من الصفات جعلت أبا بكر الصديق

53- سبق تخريجه.

54- الحديث سبق تخريجه

55- زيد بن ثابت: هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك النجاري الأنصاري، قدم رسول الله ﷺ المدينة وزيد ابن أحد عشرة سنة، أجيز في الخندق، وحفظ القرآن كله عن ظهر قلب في حياة النبي ﷺ، =

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يؤهله لهذه المهمة العظيمة، ذكر الحافظ ابن حجر أن أبا بكر ذكر أربع صفات جعلته يسند المهمة إلى زيد: «أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك؛ كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، كونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة»[56]، ويمكن بيان هذه الصفات فيما يلي:

أولاً: أن زيداً شاب؛ ومن المعلوم أن قوة الشباب تساعد الإنسان على إنجاز العمل المكلف به في الوقت المطلوب منه، فالشباب لديهم من القوة والنشاط ما يمكنهم من ذلك.

ثانيا: أنه غير متهم في دينه، ولا يتطرق إليه الشك أو التجريح؛ مما يجعل عمله خالياً من أدنى ريبة أو شك، وقد استشعر زيد حجم هذه المسؤولية وعبر عن ذلك بقوله: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن»[57].

ثالثا: أنه عاقل فطن يحسن التصرف، فيكون أوعى لما يفعله، وحتى لا يكون في عمله نقص أو خلل، ويشهد لرجاحة عقله وفطنته وورعه مناقشته لأبي بكر في الأمر، حتى اقتنع بالفكرة، وكذلك قول أبي بكر له: «إنك رجل عاقل ولا نتهمك ...».

رابعا: كان زيد أحد كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان أقرب الكتّاب وأشدهم ملازمة للنبي ﷺ، فكان لديه من التجربة العملية والخبرة الميدانية ما يؤهله لذلك، وقد أشار الصديق إلى ذلك بقوله: «وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ».

خامسا: الدقة التي أتصف بها زيد، فقد كان يتحرى الدقة، ويشهد لذلك قوله: «فتتبعت

=

وكان يكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، وأمره النبي ﷺ أن يتعلم السريانية؛ ليراسل الملوك والأمراء، فتعلمه في خمسة عشر يوما، أسند إليه أبو بكر مهمة جمع القرآن في مصحف واحد، وفي عهد عثمان بن عفان تولى زيد مهمة نسخ المصاحف، كان زيد بن ثابت من الراسخين في العلم، وشهد له رسول الله ﷺ بأنه أعلم المسلمين بالفرائض، توفي سنة 45هـ وقيل 51هـ قال عنه أبو هريرة حين مات: «اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً». انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ 30/2، الإصابة 543/1، صفة الصفوة 301/1، الأعلام 57/3.

56- انظر: فتح البارئ شرح صحيح البخاري 16/10.

57- سبق تخريجه.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال»، فلم يعتمد حفظه فقط أو كونه أحد كتّاب الوحي؛ بل تحرى الدقة والاستقصاء في جمع القرآن.

سادسا: شهوده للعرضة الأخيرة للقرآن من قبل النبي ﷺ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر في جمع القرآن(58).

تلك هي أهم الأسباب التي جعلت أبا بكر ﷺ يسند مهمة جمع القرآن إلى زيد بن ثابت ﷺ، وكان زيد أهلاً لها، فقد كان أهلاً للمسؤولية وقدوة في تحمل الأمانة؛ وكان أحد تلاميذ المصطفى ﷺ، فقام زيد بجمع القرآن على الوجه الأكمل، دون ملل أو كلل، وقد سار في عمله على منهج علمي دقيق يعتمد على منهج التقصي والاستقراء.

الفرع الثاني: المنهج المتبع في جمع القرآن في عهد الصديق

بعد أن تم تكليف زيد بمهمة جمع القرآن الكريم، سلك زيد بن ثابت منهجاً علمياً محكماً يعتمد على دعامتين أساسيتين هما(59):

أولاً: الاعتماد على ما كان مكتوباً بين يدي النبي ﷺ.

ثانياً: الاعتماد كذلك على حفظ القرآن في صدور الرجال.

وقد صرح زيد بهذه الطريقة بقوله: «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال»، فلم يعتمد زيد على حفظه فقط أو كونه أحد كتّاب الوحي؛ بل استعان بكل من حفظ من رسول الله ﷺ، ذكر الإمام السيوطي: «عن موسى بن عقبة في مغازيه عن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع القرآن على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في مصحف»(60).

أعد زيد للأمر عدته، وذلك احتياطا لكتاب الله تعالى وصيانة له، فأخذ يجمع ما كتب بين يدي النبي ﷺ، وما كان مكتوبا عند الصحابة من القرآن؛ فقد كان يطلب من الصحابي الذي يتقدم به أن يُشهد على أن هذا المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو

58- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 251/1، المرشد الوجيز ص 96، المعجزة الكبرى (القرآن) ص 25.

59- انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن 252/1، المعجزة الكبرى (القرآن) ص 26، نظرات في كتاب الله ص 34، من روائع القرآن الكريم ص46، اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص 50.

60- انظر الإتقان في علوم القرآن ص 79.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

روجع على قراءته، أو سمعه وقرأه على النبي ﷺ، يقول العلامة الألوسي في تفسيره (روح المعاني): «ولعل الغرض من الشاهدين أن يشهدا أن ذلك كتب بين يدي الرسول ﷺ، أو على أنه مما عرض عليه ﷺ عام وفاته، وإنما اكتفوا في آية التوبة بشهادة خزيمة لأن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين»[61].

وقد وضع أبو بكر رضي الله عنه لزيد منهجاً محكماً في قبول ما كتب من كتاب الله تعالى بين يدي رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج ابن أبي داود في (كتاب المصاحف) من طريق هشام بن عروة أن أبا بكر قال لعمر وزيد: «اقعدا على باب المسجد فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه[62]، وأيضا ما أخرجه ابن أبي داود من طريق يحي بن عبد الرحمن بن حاطب قال: «قال عمر رضي الله عنه: من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئا من القرآن فليأتنا به، وكانوا قد كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان»[63].

يقول الحافظ بن حجر: «وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعا، مع كون زيد كان يحفظه، وكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط، وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتابة، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي النبي ﷺ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن الكريم، وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عاين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ»[64]. وقد بين العلامة السخاوي أن المقصود بالشاهدين: «رجلان عدلان يشهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها»[65].

ولا يفهم من ذلك أنهم كانوا يشككون في الوحي المكتوب في الصحف الموجودة عند كثير من الصحابة؛ ولكن المقصود من وراء ذلك هو شدة التحري والدقة في كون المكتوب من القرآن في الصحف قد كتب بين يدي رسول الله ﷺ، فالشهادة

61- روح المعاني 23/1.
62- كتاب المصاحف لابن أبي داود 181/1.
63- المصدر نفسه 181/1.
64- انظر: فتح البارئ 17/10.
65- انظر: جمال القراء للسخاوي 86/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

كانت مطلوبة على كون الصحف قد كتبت بين يدي النبي ﷺ، فمن المعروف أنه كان لبعض الصحابة مصاحف خاصة بهم كتبوها في بيوتهم لأنفسهم، يوضح هذا العلامة أبو شامة المقدسي بقوله: «لم تكن البينة على أصل القرآن، فقد كان معلوماً لهم كما ذكر، وإنما كانت على ما أحضروه من الرقاع المكتوبة، فطلب البينة عليها أنها كتبت بين يدي رسول الله ﷺ، وبإذنه على ما سمع من لفظه، ولهذا قال زيد: فليمل سعيد؛ يعني من الرقاع التي أحضرت، ولو كانوا كتبوا من حفظهم لم يحتج زيد إلى من يمليه عليه»(66).

يقول فضيلة الدكتور محمد سعيد البوطي: «وإذا وقفت على النهج الذي كان يسير عليه زيد ﷺ في الاستيثاق من الآية عند كتابتها؛ أدركت مدى الدقة العظيمة التي امتدت مع المراحل التاريخية المختلفة لكتابة القرآن الكريم وجمعه، فقد كان لا يكتب من القرآن آية إلا بشاهدين يجتمعان عليها من حيث اللفظ والأداء وهما الحفظ والكتابة، رغم أنه كان هو نفسه في مقدمة حفاظ القرآن غيبيا، فكان في غنى عن أن يحمل نفسه هذا الجهد، ولكن الورع في الدين والحيطة في النقل حملاه على أن يضع نفسه –من أجل أنه هو الذي تولى الكتابة– في الموضع الأخير بعد عامة الصحابة»(67).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا مدى الحرص والدقة التي امتاز بها منهج زيد بن ثابت في جمع القرآن، فلم يعتمد زيد على الحفظ فقط بل قرن بين ما كان محفوظاً وما كان مكتوباً، والشاهد على ذلك قوله في أخر الحديث الذي رواه الإمام البخاري: «أنه لم يجد أخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة»، أي لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة الأنصاري، بالرغم من أن زيد كان يحفظها، ولكنه أراد زيادة الدقة والتوثق والاحتياط لكتاب الله تعالى، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى الدقة التي امتاز بها عمل زيد في جمع القرآن الكريم، فقد بذل جهداً كبيراً في البحث والاستقصاء عما كتب من القرآن بين يدي رسول الله ﷺ؛ وذلك بغية الدقة والاحتياط لكتاب الله تعالى.

المطلب الثالث: مدة الجمع وفائدته وأهم خصائصه

الفرع الأول: مدة جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ

قام زيد بن ثابت ﷺ بتنفيذ مهمة جمع القرآن الكريم من الصحف والرقاع في

66– المرشد الوجيز ص 59.

67– من روائع القرآن ص 46، 47.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

موضع واحد، فبعد أن وضع له الصديق الخطة التي يسير والمنهج الذي يتبعه أثناء الجمع، قام بالجمع وقد استغرق جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ قرابة خمسة عشر شهراً، حيث بدأ بعد انتهاء معركة اليمامة التي وقعت في أواخر السنة الحادية عشرة للهجرة، وانتهى الجمع قبل وفاة أبي بكر ﷺ وكانت الوفاة في الشهر السادس من السنة الثالثة عشر من الهجرة، وتم ذلك جمعا وكتابة قبل وفاته ﷺ، ويشهد لذلك قول زيد في الحديث الذي أخرجه البخاري: « فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله »[68].

الفرع الثاني: فائدة جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ

كان من أهم نتائج جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ أن سجل القرآن كله وقيد بالكتابة في موضع واحد، وزال الخوف من الضياع أو النسيان بوفاة حملته وقرائه، فبعد أن كان مبعثراً في أماكن متفرقة، صار مجموعاً في مكان واحد، وأصبح بمنزلة وثيقة وسجل يرجع إليها وقت الحاجة والضرورة، كما زالت بدعة الجمع من أذهان كثير من الصحابة، وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه من حديث زيد بن ثابت؛ أن الصحف التي كتب القرآن فيها سلمت إلى أبي بكر ﷺ فحفظها عنده حتى توفاه الله تعالى، ثم انتقلت من بعده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فظلت عنده مدة خلافته حتى توفاه الله تعالى، ثم انتقلت إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر -رضي الله عنها- فبقيت عندها حتى طلبها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ لنسخها في المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار، ثم أعادها إليها مرة أخرى، فبقيت عندها طيلة حياتها، وقد أرسل إليها الخليفة الأموي مروان بن الحكم يطلبها منها ولكنها رفضت، فلما توفيت -رضي الله عنها- أرسل مروان إلى أخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يطلبها منه فأرسل بها إليه، فأمر الخليفة مروان بن الحكم بحرقها وقال: « إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس الزمان أن يرتاب في شأن الصحف مرتاب أو يقول: أنه قد كان شيء منها لم يكتب »[69]، فكان هذا الصنيع من الخليفة الأموي مروان بن الحكم عملاً اجتهاديا يقطع أي فتنة أو ريبة قد تحدث في شأن الصحف.

الفرع الثالث: سمات وخصائص جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ

اتسمت الصحف التي جمع فيها القرآن الكريم في عهد الصديق ﷺ بعدة

68- سبق تخريجه.

69- انظر: فتح البارئ 25/10، جمال القراء 18/1، المرشد الوجيز ص 52، مناهل العرفان 253/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

خصائص ومميزات كان من أهمها ما يلي[70]:

أولاً: تم جمع القرآن في هذه الصحف على أدق وجوه البحث والتحري والإتقان، ويتضح ذلك من خلال تصريح زيد بن ثابت في تتبعه للقرآن يجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال.

ثانياً: كان هذا الجمع بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، كما كان في الرقاع التي كتبت في عهد النبي ﷺ، وقد بين ذلك العلامة السخاوي عند كلامه عن طلب الشهادة من أصحاب الصحف: «رجلان عدلان يشهدان على أنه كتب بين يدي رسول الله ﷺ، أو أنه من الوجوه السبعة التي نزل بها»[71].

ثالثاً: أهمل هذا الجمع ما نسخت تلاوته في عهد النبي.

رابعا: كان هذا الجمع مرتب الآيات باتفاق، واختلف العلماء في السور، أكانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان بن عفان ﷺ[72].

خامساً: اتفق العلماء على أنه كتبت نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع، حفظت عند أبي بكر ﷺ حتى وفاته، ثم انتقلت إلى عمر ﷺ حتى وفاته، ثم انتقلت إلى أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها–، حتى طلبها عثمان ﷺ لنسخها ثم ردها لها مرة أخرى بعد أن تم النسخ في المصاحف.

سادسا: ظفر هذا الجمع للقرآن بإجماع الأمة عليه، ولم يخلف أحد من الصحابة فيه، وتواتر الإجماع عليه.

سابعاً: سمي ما جمع وكتب في الصحف مصحفاً، وكانت تلك أول تسمية لكتاب الله تعالى، ذكر الإمام السيوطي في الإتقان عن ابن أشته في كتابة المصاحف أنه قال: «لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السفر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإن في الحبشة يسمونه المصحف، وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله تعالى وسماه المصحف»[73].

تلك هي أهم السمات والخصائص التي تميز بها جمع القرآن في عهد أبي بكر، ولعل أهم ما يميزها أنها كانت الأولى من نوعها، كما أنها قطعت أي نزاع أو فتنة قد

70– انظر: الإتقان ص 81، جمال القراء 86/1، مناهل العرفان 253/1، من روائع القرآن ص 46.

71– جمال القراء 86/1.

72– انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص 81 وما بعدها.

73– المصدر نفسه ص81.

www.quranonlinelibrary.com

تنشأ حول كتاب الله تعالى، وبهذا تم جمع القرآن بأمر من أبي بكر وإشراف من عمر وتنفيذ من زيد -رضي الله تعالى عنهم جميعاً- وأجمعت الأمة على ذلك دون نكير من أحد؛ وفي هذا يقول العلامة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني تعقيباً على إتمام مهمة الجمع: «وكان ذلك منفعة خالدة، لازال التاريخ يذكرها لأبي بكر في الإشراف ولعمر في الاقتراح ولزيد في التنفيذ وللصحابة في المعاونة والإقرار»[74].

المطلب الرابع: بعض الشبهات التي أثيرت حول هذا الجمع والرد عليها

أثار الروافض وبعض المشككين بعض الشبهات والمزاعم الكاذبة حول جهود جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ، قام العلماء الأجلاء بالتصدي لها ودحضها من أساسها، وسوف أقتصر في هذا المطلب على ذكر شبهتين فقط[75].

الشبهة الأولى: اعترض بعض الروافض على ما قام به الصديق، واعتبروه فعل ما لم يفعله النبي ﷺ، وقد أورد الحافظ ابن حجر هذا الاعتراض في كتابه فتح البارئ وذكر الرد عليه فقال ما نصه: «وقد تسول لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف، فقال: كيف جاز أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول ﷺ؟ والجواب أنه لم يفعل ذلك إلا عن طريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم، وقد أذن النبي ﷺ في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً، ولذلك توقف عن كتابة الآية من أخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه، وإذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك لجزم بأنه يعد من فضائله وينوه بعظيم منقبته، لثبوت قول رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[76]، فما جمع أحد القرآن بعد أبي بكر إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة، ... وقد اعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا

74- مناهل العرفان 255/1.

75- انظر تفاصيل هذه الشبهات في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن 263/1 وما بعدها، اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص 51.

76- صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها 705/2.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

﴿مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة: 2] الآية، وكان القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة؛ فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بن عفان بالنسخ منها فنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار»(77).

من خلال ما عرضه الحافظ ابن حجر في السياق السالف الذكر يتضح لنا أن ما فعله أبو بكر لم يكن بدعة في الدين؛ كما يزعم هؤلاء الروافض وغيرهم، وإنما هو اجتهاد منه أجمعت الأمة على استحسانه، وشاركه الصحابة في تنفيذ هذا العمل، فقد ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: «عن موسى بن عقبة في مغازيه عن شهاب قال: لما أصيب المسلمون في اليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر قي الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف«(78)، وقد عبر أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- عن استحسانه لما فعله أبو بكر بقوله: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمعه بين اللوحين»(79).

إضافة لما سبق فإن عمل أبي بكر ﷺ في جمع القرآن عملاً اجتهادياً مستمد من القواعد التي وضعها رسول الله ﷺ في إذنه بكتابة القرآن واتخاذه كتّاباً للوحي يكتبون القرآن بين يديه ﷺ، فلم يكن عمل أبي بكر بدعة في الدين لأن القرآن كان مكتوبا وما فعله أبو بكر هو جمع هذا المكتوب في مكان واحد بعد أن كان مفرقاً، يقول الإمام أبو عبد الله المحاسبي في كتابه فهم السنن: «كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، وإنما أمر الصديق ﷺ بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشراً فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء»(80).

الشبهة الثانية: وهي عكس القضية الأولى، حيث زعم بعض الروافض أن عليا -كرم الله وجهه- سبق الصديق ﷺ في جمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد استدلوا على دعواهم هذه بما روي عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: «لما كانت خلافة أبي بكر

77- نظر: فتح البارئ شرح صحيح البخاري لابن حجر 17/10 وما بعدها.
78- الإتقان في علوم القرآن ص 80.
79- أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف 25/1.
80- نقلا عن كتاب مناهل العرفان 250/1.

www.quranonlinelibrary.com

قعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل لأبي بكر كره بيعتك، فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي ؟ فقال: رأيت كتاب الله يزداد فيه فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه، قال أبو بكر: فإنك نعم ما صنعت»[81].

وقد تصدى العلماء القدامى والمعاصرين للرد على هذه الشبهة ودحضها من أساسها[82]. فقد ذكر الحافظ ابن حجر: «أن إسناد هذا الحديث ضعيف لانقطاعه، وعلى تقدير أن يكون محفوظا فمراده بجمعه في صدره، ... قال: والذي وقع في بعض طرقه: (حتى جمعته بين اللوحين) وهم من راويه»[83]. وقد ذكر الإمام الألوسي رداً أخر: «وما شاع أن عليا -كرم الله وجهه- لما توفى رسول الله ﷺ تخلف لجمعه؛ فبعض طرقه ضعيفة وبعضها موضوع، وما صح فمحمول كما قيل على الجمع في الصدور، وقيل جمعاً بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو كتاب علم»[84].

يقول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ما نصه: «إن هذه الروايات وأشباهها لا تضير بحثنا، ولا تعكر صفو موضوعنا، فقصاراها أنها تثبت أن عليا أو بعض الصحابة كان قد كتب القرآن في مصحف، ولكنها لا تعطي هذه المصاحف تلك الصفة الإجماعية، ولا تخلع عليها تلك الثقة ولا هذه المزايا، وإذا كانت قد سبقت في الوجود وتقدم بها الزمان، فإن جمع أبي بكر هو الأول من نوعه على كل حال، وقد اعترف بذلك الإمام علي بن أبي طالب حيث قال: «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله»[85]، فهذا اعتراف صريح من أبي الحسن بالأولية لجمع أبي بكر على النحو الآنف رضوان الله عليهم أجمعين»[86].

هذا ولم يحجر أبو بكر ﷺ على أحد في أن يكتب القرآن أو يجمعه في

81- انظر: كتاب المصاحف 25/1

82- انظر: فتح البارئ شرح صحيح البخاري 15/10، الإتقان في علوم القرآن ص 80، روح المعاني 22/1، مناهل العرفان في علوم القرآن 254/1، المعجزة الكبرى (القرآن) ص 28، اللآلئ الحسان في علوم القرآن ص 52.

83- فتح البارئ 15/10.

84- انظر: روح المعاني للألوسي 23/1.

85- سبق تخريجه

86- انظر: مناهل العرفان 255/1 بتصرف.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

مصحف، فكتابة القرآن أمر متاح لجميع المسلمين من أراد منهم أن يكتبه ويجمعه فليفعل، وقد كان لبعض الصحابة مصاحف خاصة بهم؛ فقد كان لأبي بن كعب ولعبد الله بن مسعود –رضي الله عنهما– وغيرهما مصاحف خاصة بهم، ولكن الذي يهمنا في هذا الأمر أن جمع أبي بكر ﷺ هو الجمع الأول بلا منازع؛ مما يبطل دعوة هؤلاء الروافض وأمثالهم.

المبحث الثالث: جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان ﷺ: معناه، دوافعه، خصائصه

تم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر في مصحف واحد، وكان هذا عملاً عظيماً بحق من أهم أعمال أبي بكر ومناقبه، وقد ظلت هذه الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر حتى توفاه الله تعالى ثم انتقلت إلى أم المؤمنين حفصة، حتى جد في خلافة عثمان ما استدعى نسخ عدة نسخ من هذه الصحف الموجودة عند أم المؤمنين حفصة، ولهذا يقصد بجمع القرآن في عهد عثمان ما تم نسخه من الصحف المجموعة في عهد أبي بكر، وتوحيد قراءة القرآن بلغة قريش، وهذا ما يتناوله هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأسباب والدوافع إلى جمع القرآن في عهد عثمان

المطلب الثاني: اللجنة المكلفة بالعمل والمنهج المتبع

المطلب الثالث: أهمية وخصائص هذا العمل.

المطلب الأول: الأسباب والدوافع إلى جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان ﷺ

شهد عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ اتساع حركة الفتوحات الإسلامية التي امتدت من بلاد ما وراء النهرين شرقا إلى بلاد الأندلس غربا، وقد شملت حركة الفتوحات فتح الأندلس وخراسان ونيسابور وطوس وبيهق وغيرها من البلاد[87]، وشهدت حركة العمران في عهده طفرة كبيرة؛ فقد تم توسيع المسجد النبوي إلى غير ذلك من أعمال جدت في عهد أمير المؤمنين عثمان ﷺ.

وكان من نتيجة اتساع الفتوحات الإسلامية تفرق الصحابة في الأمصار المفتوحة

87– انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 156

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

لتعليم الناس أمور الدين، وتحفيظهم كتاب الله تعالى وتعليمهم سنة النبي ﷺ، فنشأ جيل جديد من المسلمين من الذين دخلوا الإسلام مع اتساع حركة الفتوحات الإسلامية، وطال العهد بينهم وبين عهد النبي ﷺ، وكان أهل كل مصر من الأمصار يأخذون بقراءة من نزل عندهم من الصحابة، فكان أهل الشام يأخذون بقراءة أبي بن كعب ﷺ، وأهل العراق يأخذون بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ، وغيرهم يأخذ بقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ، وكان أهل كل مصر من الأمصار يتمسكون بقراءة من نزل عندهم من الصحابة، مما كاد يؤدي إلى نشوب فتنة بينهم[88]، وقد حدث هذا الأمر عندما اجتمعت الجيوش الإسلامية المكونة من جند الشام وجند العراق لفتح أرمينيا وأذربيجان، وكان كل فريق يقرأ القرآن بالقراءة التي أخذها من الصحابي الذي نزل عندهم، مما جعل كل فريق يخطئ الآخر ويدعي لنفسه الصواب، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى تكفير بعضهم البعض، مما أفزع كبار الصحابة وعلى رأسهم الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ﷺ[89] الذي فزع إلى عثمان ﷺ يدعوه إلى تدارك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى.

أخرج البخاري في صحيحه: «عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف»[90].

88- انظر: مناهل العرفان 255/1، المعجزة الكبرى (القرآن) ص 32، اللآلئ الحسان ص 53.

89- حذيفة بن اليمان: اسم اليمان حسيل بن جابر بن ربيعة بن عمرو بن جذوة الازدي، ويكنى أبا عبد الله، صحابي جليل من أصحاب رسول الله ﷺ، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، ولم يعلمهم أحد غيره، وكان عاملا على دبا في اليمن من قبل النبي ﷺ وتولى المدائن في خلافة عمر، وهاجم نهاوند سنة 22هـ، توفى بالمدائن بعد مقتل عثمان بأشهر سنة 36 هـ. انظر طبقات ابن عد 527/2، صفة الصفوة 254/1، الأعلام 171/2.

90- صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 344/3، وانظر سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

وكذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق أبي قلابة أنه قال: «لما كانت خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان، فقام خطيبا، فقال: أنتم عندي تختلفون وتلحنون، فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا، اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوه للناس إماما»[91]، وما أخرجه أيضا من طريق سويد بن غفلة الجعفي: «قول على -كرم الله وجهه-: يا أيها الناس: لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا، فقال عثمان: ما تقولون في هذه القراءة ؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفرا، قلنا: فما ترى ؟ قال: نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت. قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل»[92].

فلما سمع عثمان ﷺ ما سمع وأخبره حذيفة بما رآه، جمع عثمان أعلام الصحابة واستشارهم في الأمر، والعمل على القضاء على الفتنة قبل أن تستفحل، فأجمعوا على أن ينسخ من الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر عدة نسخ ويرسل بها إلى الأمصار المفتوحة، لتكون مرجعا للناس يرجعون إليها عند الاختلاف.

مما سبق ذكره يتضح أن الباعث الحقيقي من وراء جمع القرآن في عهد عثمان هو تدارك الخلاف بين القراء في وجوه قراءة القرآن، وكذلك القضاء على فتنة تخطئة بعضهم البعض، حتى وصل بهم الأمر إلى تبادل الاتهام بالكفر كما سبق الإشارة إليه، فأراد عثمان جمع الأمة على مصحف موحد مجمع عليه؛ يرفع الخلاف والتنازع في القراءة، ويقطع المراء فيها، وذلك باعتماد القراءات المتواترة التي يقرأ بها القرآن، وأيضا حماية النص القرآني من أي زيادة أو نقصان؛ نتيجة لوجود بعض المصاحف بين أيدي بعض الصحابة، مثل مصحف أبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود وغيرهما، وبعض هذه المصاحف لم يكتب فيها بعض السور مثل مصحف ابن مسعود لم يكتب

91- كتاب المصاحف لابن أبي داود 211/1، والأثر مما أنفرد المؤلف بتخريجه، وانظر فتح البارئ 22/10.

92- انظر كتاب المصاحف 211/1، السنن الكبرى للبيهقي 42/2، الإتقان للسيوطي ص 81.

www.quranonlinelibrary.com

فيه المعوذتين[93].

المطلب الثاني: اللجنة المكلفة بالعمل والمنهج المتبع

بعد أن استشار عثمان الصحابة في نسخ المصاحف، شرع في تنفيذ هذا العمل، وكان ذلك في أواخر سنة 24هـ وأوائل سنة 25 هـ، حيث عهد عثمان إلى لجنة من الصحابة من خيرة الحفاظ والكتّاب، ووضع لهم منهجا يسيرون عليه.

الفرع الأول: اللجنة المكلف بالجمع

عهد سيدنا عثمان ﷺ مهمة نسخ المصاحف إلى لجنة مكونة من بعض الصحابة، وقد وقع خلاف بين العلماء حول عدد أفراد هذه اللجنة؛ فقيل خمسة هم: زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ﷺ، وقيل هم اثنا عشر رجلا، وفي بعض الآثار: « يملي سعيد ويكتب زيد »[94]، وما أجمع عليه جمهور العلماء أنهم أربعة هم: زيد بن ثابت من الأنصار، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن هشام « الثلاثة من قريش »[95].

1. زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو من كلفه أبو بكر الصديق بجمع القرآن في مصحف واحد في عهده.
2. عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي[96]، أحد العبادلة الأربعة الذين اشتهروا بالعلم وعنوا بحفظ القرآن.
3. سعيد بن العاص[97]، أحد الذين عهد إليهم عثمان بمهمة نسخ المصاحف.

93- انظر: مدخل إلى القرآن: للدكتور محمد عبد الله دراز ص43، مناهل العرفان 256/1 وما بعدها.

94- انظر: كتاب المصاحف 217/1.

95- انظر: فتح البارئ شرح صحيح البخاري 22/10، الإتقان ص 81، كتاب المصاحف 220/1، ورح المعاني 23/1، مناهل العرفان 257/1.

96- هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر، فارس قريش في زمنه، من خطباء قريش المعدودين، وأول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة في المدينة، بويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64 هـ، وجعل قاعدة ملكه المدينة، ودامت خلافته تسع سنين، وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، قتل مظلوما بمكة بعد قتال عنيف بينه وبين الحجاج بن يوسف الثقفي في جمادى الأولى سنة 73هـ. انظر: الإصابة في تميز الصحابة 41/4، شذرات الذهب 79/1 وما بعدها، الأعلام 87/4.

97- هو سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الفاتحين، وولاه عثمان الكوفة =

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

4. عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[98].

هؤلاء الأربعة هم الذين كون منهم عثمان لجنة النسخ، وعهد إليهم بتنفيذ مهمة نسخ القرآن في المصاحف، وكان ذلك أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين هجريا، وهو الوقت الذي ذكر أهل التاريخ أن أرمينية فتحت فيه[99].

ويلاحظ أن زيد بن ثابت هو الأنصاري الوحيد في اللجنة، أما الثلاثة الآخرين فهم من قريش، وكان نصيبهم كبير، لأن القرآن نزل بلغة قريش، وتشير بعض الروايات كما سبق الإشارة إليه إلى أن الذين ساهموا في النسخ اثنا عشر رجلا، حيث أخرج ابن أبي داود: «عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت»[100]، والظاهر أنه لا تعارض بين رواية البخاري التي اقتصرت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضافت إليهم خمسة أو سبعة، فرواية البخاري حددت اللجنة الأساسية، والروايات الأخرى أضافت إليهم من ساعدهم بالإملاء والكتابة.

الفرع الثاني: أسباب اختيار عثمان ﷺ لأعضاء هذه اللجنة

يرجع سبب اختيار سيدنا عثمان ﷺ لأعضاء اللجنة إلى عدة عوامل من أهمها:

أولا: كان زيد كاتب الوحي بين يدي النبي ﷺ.

=

وهو شاب، ثم استدعاه عثمان إلى المدينة فأقام فيها إلى أن كانت الثورة على عثمان، فدافع عن عثمان وقاتل دونه إلى أن استشهد عثمان، فخرج إلى مكة فأقام فيها إلى أن ولي معاوية الخلافة فعهد إليه بولاية المدينة فتولاها إلى أن مات بها سنة 59هـ وكانت ولادته قبل بدر، وهو فاتح طبرستان، وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، كان قويا فيه تجبر وشدة، سخيا فصيحا عاقلا حليما، اعتزل الجمل وصفين. انظر: الإصابة 41/4، طبقات ابن سعد 19/5، شذرات الذهب 65/1، الأعلام 96/3 وما بعدها.

98- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، أبو محمد، ختنه عثمان بن عفان، تزوج عمر بن الخطاب والدته بعد وفاة أبيه في طاعون عمواس بالشام فتربى في حجره، ولد في زمن النبي ﷺ ولم يسمع منه، من أشراف قريش، أحد الأربعة الذين تولوا نسخ المصاحف في عهد عثمان، ابنه أبو بكر أحد الفقهاء السبعة المعروفين، توفي بالمدينة سنة 43هـ. انظر: الإصابة 83/6، الأعلام 303/3.

99- انظر: فتح البارئ 21/10.

100- كتاب المصاحف 225/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ثانيا: كان زيد قد تولى مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر ﷺ، فأراد عثمان أن تكتب المصاحف بنفس ما كتبت عليه زمن أبي بكر[101]، ولعل هذا السبب يدفع اعتراض الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود على تشكيل لجنة الجمع واستبعاده منه[102]، ذكر الحافظ ابن حجر: «أنه شق على ابن مسعود صرفه عن كتابة المصاحف، حتى قال فيما أخرجه الترمذي: (يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل؛ والله لقد أسلمت وأنه لفي صلب رجل كافر؛ يريد زيد)[103]، والعذر لعثمان في ذلك؛ لأنه فعله بالمدينة وابن مسعود بالكوفة، ولم يؤخر عثمان ما عزم عليه إلى أن يرسل إليه ويحضر، أيضا إنما أراد عثمان نسخ الصحف التي كانت في عهد أبي بكر، وأن يجعلها مصحفا واحدا»[104].

الفرع الثالث: المنهج المتبع في نسخ المصاحف

أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- يطلب منها الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد أبي بكر ﷺ، فبعثت بالصحف إليه، وتسلمت اللجنة هذه الصحف واعتبرتها المصدر الأساسي في هذا العمل، ثم أخذت في نسخها حسب المنهج الذي حدده أمير المؤمنين عثمان ﷺ لأعضاء اللجنة؛ حيث قال للقرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم»[105]، وقد وضع عثمان ﷺ للجنة المكلفة بالجمع الضوابط التي يجب أن تسير عليها وهي:

أولا: اعتبار الصحف التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق أساسا في نسخ المصاحف حيث أمر عثمان بإحضاره من السيدة حفصة حيث قال لها: «أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك».

ثانيا: إشراف عثمان المباشر على الجمع، حيث كان يتفقد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام، أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال: «وكان عثمان

101- انظر: فتح البارئ 23/10.

102- انظر: اللآلئ الحسان ص 57 وما بعدها.

103- أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة

104- فتح البارئ 24/10 وما بعدها.

105- أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن 344/3.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يتعاهدهم، فكانوا إذا تدرأوا في شيء أخروه»[106].

ثالثا: رجوع اللجنة المكلفة بالجمع إلى الخليفة عثمان ﷺ فيما يحتاجون إليه للتأكد من كتابته وكيفية ذلك، أخرج البخاري عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: «قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ [البقرة: 240] قَالَ قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا أَوْ تَدَعُهَا قَالَ يَا ابْنَ أخي، لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»[107].

رابعا: تشدد اللجنة في ما ينسخ؛ وخاصة فيما تعددت فيه القراءة ن حيث كانوا يسألون مشاهير الصحابة عن كيفية القراءة به لا عن قرآنيته؛ فإن ذلك عرف في جمع أبي بكر، كما أن عثمان أراد أن تكتب المصاحف في مجموعها على جميع القراءات التي قرأها رسول الله ﷺ؛ ليقضي على الفتنة التي قد تحدث بسبب الجهل بهذه القراءات.

خامسا: أن الكتابة تمت بشكل يجمع ما ثبت من الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، على أن يكتب بدون تكرار الكلمات، واتفقوا على رسم الكلمات بها عدة أوجه بطريقة يجعلها محتملة لأن تقرأ بكل تلك الأوجه، وقد ساعدهم على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط، قال ابن الجزري المتوفى سنة 833 هـ: «وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، متضمنة لها لم تترك حرفا ... فكتب الصحابة المصاحف على لغة قريش والعرضة الأخيرة، وجردوا المصاحف من النقط والشكل لتحتمل صورة ما بقي من الأحرف السبعة»[108].

سادسا: عند اختلاف اللجنة في كتابة كلمة فإنهم يكتبونها بلغة قريش؛ حيث قال عثمان للرهط الثلاثة من قريش: «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»[109]، والمقصود بالاختلاف هنا الاختلاف في الرسم والكتابة، لا من حيث الألفاظ والكلمات، ويدل على هذا قوله لهم: فاكتبوه؛ فيكون المعنى: إذا اختلفتم أنتم وزيد في رسم كلمة فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش

106- كتاب المصاحف لابن أبي داود 225/1.

107- صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب (والذين يتوفون منكم) 289/3.

108- انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري 31/1.

109- سبق تخريجه.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ولهجتها.

المطلب الثالث: أهمية نسخ المصاحف وخصائصها

الفرع الأول: أهمية نسخ المصاحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ

بعد أن تم نسخ المصاحف العثمانية بالكيفية التي سبق بيانها، أمر عثمان بإرسالها إلى الأمصار الإسلامية والبلاد المفتوحة، وأرسل مع كل مصحف مقرئا من الذين توافق قراءته في أغلبها قراءة ذلك البلد، وذلك لأن التلقي أساس في قراءة القرآن، وأمر أن يحرق كل ما عداها من الصحف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدى بعض الصحابة مما تخالفها؛ ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله تعالى، فاستجاب الصحابة لذلك، فجمعت الصحف وحرقت أو غسلت بالماء[110]، ففي صحيح البخاري: «حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[111].

واجتمع الصحابة جميعا على المصاحف العثمانية؛ حتى أن عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه معارضته في أول الأمر وأبى أن يحرق مصحفه رجع وعاد، حينما ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها وتوحيد الكلمة بها[112].

وقام عثمان بن عفان ﷺ بنشر المصاحف المكتوبة في الأمصار الإسلامية بعد انتهاء اللجنة من النسخ، وأمر بتوزيعها على الأمصار؛ ليقضي على التنازع والاختلاف في قراءة القرآن، واحتفظ عنده بمصحف سمي (المصحف الإمام)، وقد اختلف العلماء حول عدد المصاحف التي نسخت.

فقيل: إنها ثمان نسخ، ذكر هذا القول ابن الجزري: «فكتب منها عدة مصاحف، فوجه بمصحف للبصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا -الذي يقال له الإمام- ووجه بمصحف إلى مكة،

110- انظر: مناهل العرفان 260/1.

111- صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن

112- انظر: مناهل العرفان 261/1.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين »[113].

وقيل: أنها أربعة؛ قال أبو عمرو الداني: « أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحد: الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده »[114]، وقيل: أنها خمس نسخ، قال ابن حجر: « فالمشهور أنها خمسة »[115]، وقرر ذلك السيوطي في الإتقان[116].

مما سبق ذكره نستطيع القول بأن العلماء يكادون يتفقون على خمسة: الكوفي، والبصري، والشامي، والمدني العام، والمدني الخاص المسمى بالإمام، والتي محل خلاف ثلاثة هي: المكي، ومصحف البحرين ومصحف اليمن، وذكر البعض أنه أرسل مصحفا إلى مصر، ولم يكتف عثمان ﷺ بإرسال هذه المصاحف فقط، بل بعث معه من يقرأ من الحفاظ الثقاة فأمر كل من:

- زيد بن ثابت أن يقرأ بالمصحف المدني.
- وبعث عبد بن السائب مع المصحف المكي.
- وبعث المغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي.
- وبعث أبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي.
- وبعث عامر بن قيس مع المصحف البصري[117].

الفرع الثاني: سمات وخصائص المصاحف العثمانية

تميزت المصاحف العثمانية بعدة خصائص وسمات، كان من أهمها:

أولا: الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحادا.

ثانيا: إهمال ما نسخت تلاوته، ولم يستقر في العرضة الأخيرة.

ثالثا: ترتيب السور على الوجه المعروف الآن، بخلاف صحف أبي بكر؛ فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

رابعا: كتابتها بطريقة تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن،

113- النشر في القراءات العشر 7/1.

114- المقنع ص 10.

115- فتح البارئ 25/10

116- انظر: الإتقان ص 83

117- انظر: مناهل العرفان 403/1 وما بعدها.

www.quranonlinelibrary.com

وذلك بعد إعجامها وشكلها[118].

خامسا: تجريدها من كل ما ليس قرآنا، كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحا لمعنى أو بيانا لناسخ ومنسوخ أو نحو ذلك.

الفرع الثالث: الفرق بين الجمع في عهد عثمان والجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنهما

بالنظر إلى الجمعين يتضح أن هناك بعض الفروق الجوهرية بينهما، سواء من ناحية الدافع إلى الجمع، أو المنهج المتبع والكيفية فيهما، بالإضافة إلى عدد النسخ المكتوبة في كل جمع[119]، ويمكن بيان أهم الفروق فيما يلي:

أولاً: الدافع والباعث إلى الجمع

في عهد الصديق ﷺ كان الدافع للجمع؛ مخافة ضياع شيء من القرآن بسبب موت أو قتل حملته وقرائه أثناء حروب الردة، حيث استحر القتل فيها بعدد كبير من الحفاظ والقراء.

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فقد كان الباعث إلى الجمع اختلاف القراء حول وجوه قراءة القرآن، وبخاصة بين أهل البلاد المفتوحة التي نزل رفيها أصحاب رسول الله ﷺ، فكان الهدف الأساسي من الجمع القضاء على هذا النزاع والاختلاف.

ثانياً: المنهج المتبع

في عهد الصديق ﷺ اعتمدت اللجنة المكلفة على ما كتب من القرآن بين يدي رسول الله ﷺ والذي كان مفرقاً في الصحف، وكذلك على ما كان محفوظاً في صدور الرجال، فتم جمعه وكتابته في صحف مرتبة الآيات والسور على ما كان في عهد النبي ﷺ ووضعها في موضع واحد.

أما في عهد عثمان ﷺ فكان الجمع عبارة عن نسخ عدة مصاحف من الصحف التي كتبت في عهد الصديق ﷺ، مشتملة على الأحرف السبعة في العرضة الأخيرة، مع ترتيب الآيات والسور على الصورة الموجودة الآن، بصورة يمكن معها قراءة الوجوه

118- مناهل العرفان 261/1.

119- انظر: فتح الباري 26/10، الإتقان في علوم القرآن ص81.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المختلفة الثابتة برسم واحد قدر الإمكان، وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، لجمع الأمة ورفع الاختلاف.

ثالثاً: عدد النسخ المكتوبة

كان عدد النسخ التي كتبت في عهد الصديق نسخة واحدة فقط؛ حفظت عند الصديق حتى وفاته ثم عند عمر حتى موته ثم عند حفصة حتى نسخت في عهد عثمان. بينما كان عدد النسخ في جمع عثمان أكثر من نسخة، قيل في بعض الروايات أن عددها ثمانية.

الخاتمة[120]

لقد تبين كيف اهتم النبي ﷺ بكتاب الله تعالى، بداية من أول نزول الوحي في غار حراء، وحتى العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام قبل وفاة النبي ﷺ، فقد ثبت اهتمام النبي ﷺ بحفظ القرآن في الصدور وكذلك كتابته في الصحف، وقد اتخذ رسول الله ﷺ كُتاب من الصحابة ممن يعرفون القراءة والكتابة؛ كانت مهمتهم كتابة كل ما ينزل على النبي ﷺ من القرآن أولاً بأول، ولما توفى رسول الله ﷺ وجد الصحابة في عهد أبي الصديق الحاجة ضرورية إلى جمع القرآن في مصحف واحد، فأمر أبو بكر رضي الله عنه الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمع القرآن في مصحف واحد، وفي عهد عثمان رضي الله عنه ظهرت الحاجة إلى نسخ عدة مصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية المفتوحة، فأمر عثمان رضي الله عنه بتشكيل لجنة للقيام بهذه المهمة، وتم نسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية.

ومن خلال هذه الدراسة يمكن استنباط بعض النتائج الهامة والتي منها:

أولاً: عمل رسول الله ﷺ على حفظ القرآن الكريم أولاً بأول، وكذلك ثبت أن عدداً كبيراً من الصحابة قد حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، والبعض الآخر قد حفظ الكثير من سور القرآن.

ثانياً: تم في عهد رسول الله ﷺ كتابة القرآن كله، واتخذ النبي ﷺ من الصحابة كتّاباً للوحي، وكتب القرآن على الصحف واللخاف والرقاع والعظام وجلود الحيوانات، وما

120- نسأل الله تعالى حسنها.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

تيسر من أدوات الكتابة في ذلك العصر، ولكنه لم يكن مجموع في موضع واحد.

ثالثاً: ظهرت الحاجة إلى جمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وهذا بناء على اقتراح من سيدنا عمر ﷺ، وكلف زيد بن ثابت بهذا الجمع.

رابعاً: بالرغم من أن زيداً كان من كتّاب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ؛ إلا أنه لم يعتمد على حفظه فقط بل اعتمد على ما كان موجود بين أيدي الصحابة من صحف كتب فيه الوحي، وما كان محفوظاً في الصدور.

خامساً: بعد الفراغ من مهمة الجمع، وضعت الصحف المكتوبة عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند أم المؤمنين السيدة حفصة -رضي الله عنها- وبعد وفاته وفي عهد مروان بن الحكم أمر بإحراق هذه الصحف خشية الفتنة.

سادساً: دعت الحاجة إلى نسخ الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر إلى عدة نسخ، وذلك في عهد عثمان، وذلك بسبب اختلاف القراء حول وجوه قراءة القرآن الكريم، حتى وصل الأمر بعضهم إلى تكفير البعض الآخر.

سابعاً: أمر عثمان ﷺ بتشكيل لجنة لنسخ القرآن في عدة نسخ وإرسالها إلى الأمصار المفتوحة، وحرق ما عدها من صحف.

وبهذا العمل من الخليفتين أبي بكر وعثمان -رضي الله عنهما- وبتوفيق من الله تعالى وتصديقاً لوعده: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ ﴾ [الحجر: 9] تم حفظ القرآن الكريم في صدر الإسلام، وبهذا العمل ظل محفوظاً إلى الآن، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أهم المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، جل من أنزله.

كتب التفسير

2. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم المعروف بـ (تفسير أبـي السـعود): لأبـي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
3. تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير الدمشقي، ت: طه عبـد الـرؤوف سـعد، مكتبـة الإيمان، المنصورة، مصر، ط أولى 1417هـ-1996م.
4. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): لمحمد بن أحمـد الأنصـاري القـرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ونسخة الهيئة العامة للكتاب بمصر.
5. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني: للعلامـة أبـي الفضـل شـهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، دار الكتب العلمية، بـيروت، ط أولى 1422هـ-2001م.
6. فتح القدير للشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
7. معالم التنزيل (تفسير البغوي): لأبي محمد الحسن بن مسعود الفراء الغوي الشـافعي، ت: خالد عبد الملك العك ومروان سور، دار المعرفة، بيروت.
8. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (تفسير الفخر الرازي): فخر الـدين محمـد بـن عمـر بن الحسن الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

كتب علوم القرآن

9. الإتقان في علـوم القـرآن: للحـافظ جـلال الـدين السـيوطي، وبهامشـه إعجـاز القـرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار، القاهرة.
10. البرهان في علوم القرآن: بـدر الـدين محمـد بـن عبـد الله الزركشـي، ت: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.
11. جمال القراء وكمال الإقراء: علم الدين السخاوي، ت: د. علي حسـين البـواب، الطبعـة الأولى.
12. دراسات حول القرآن: د. بدران أبو العنين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بـدون تاريخ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

13.اللآلئ الحسان في علوم القرآن: د. موسى شاهين لاشين، محاضرات لطلبة الدراسات العليا بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف 1982م.
14.مدخل لدراسة القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.
15.المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لأبي شامة المقدسي، ت: طيار قولاج، دار صادر، بيروت.
16.المعجزة الكبرى (القرآن): للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
17.مناهل العرفان في علوم القرآن: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
18.من روائع القرآن (تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل): د. محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ثالثة 1999م.
19.النشر في القراءات العشر: لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت.
20.نظرات في القرآن: للشيخ محمد الغزالي ت دار نهضة مصر، القاهرة، ط ثانية.

كتب الحديث وشروحه

21.الجامع الصحيح (سنن الترمذي): محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
22.شرح صحيح البخاري لابن بطال: لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، مكتبة الرشد، الرياض، ط أولى 2000م.
23.شرح صحيح مسلم: للإمام شرف الدين زكريا النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
24.صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
25.صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، دار الكتب العلمية، بيروت.
26.المسند: للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.
27.المصاحف: عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، مؤسسة قرطبة، مصر.
28.فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.

كتب التاريخ والتراجم

1. الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
2. الإعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
3. البداية والنهاية: لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

4. تاريخ الخلفاء: لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
5. حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان للتراث، القاهرة.
6. السيرة النبوية: لابن هشام محمد بن عبد الملك المصري، مكتبة الكليات الأزهرية.
7. شذرات في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
8. صفة الصفوة: أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، دار ابن خلدون، الإسكندرية.
9. الطبقات الكبرى: لابن سعد، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

www.quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية